إمارة بني دلغادر التركمانية وعلاقتها بالقوى المجاورة لها

(٧٤٠- ٩٢٢ هـ / ١٣٣٩ – ١٥١٦م)

دكتور / **إبراهيم محمد محمود أبوسعيد**

مدرس التاريخ الإسلامى بقسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية بالزقازيق

مدخل :

كان لإنهيار دولة سلاجقة الروم أمام جحافل التتار سنة ٦٥٤هـ أثره الكبير والداعم إلى ظهور العديد من زعماء التركمان[١] الذين أرادوا الإستفادة من الأوضاع السياسية التى طرأت على المنطقة فغلبوا على الجبال والثغور والسواحل جنوب آسيا الصغرى وقد أقرهم قائد التتار هولاكو على ما غلبوا عليه [٢] وللحفاظ على تلك المكتسبات دخل التركمان تحت راية التتار وألويتهم والإنخراط فى صفوف أجنادهم ، ولا غرابة فى ذلك نظرا لما قد رسخ فى الأذهان وعد من المسلمات بأن التتار قوم لا يقهرون ... إلا أن هذه النظرية قد تبددت وثبت عدم صحتها بإنتصار الجيش المصرى على التتار فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ تحت إمرة سلاطين المماليك بقيادة سيف الدين قطز، وسار خلفاؤه من بعده فى مقاومة التتار، وطردهم من بلاد الشام بعد أن حققوا الكثير من الأنتصارات الحربية لدرجة أن اسم الجيش المصرى كان مصدر رعب إلى التتار[٣] وطبيعى أن يؤدى ذلك إلى ارتفاع مكانة

---

[١] – التركمان : شعب تركى منتشر فى بلاد التركستان والقوقاز إختلف الباحثون فى أصله، فمنهم من يرى بأنهم فى أصلهم صينيون ، بينما يرى البعض الآخر بأنهم أصل الشعب التركى ، وقد إستقرت إعداد كبيرة منهم فى آسيا الصغرى . دائرة المعارف الإسلامية (مركز الشارقة للإبداع الفكرى سنة ١٩٩٦م) جـ ٥ ص ١٧، محمد فريد وجدى . دائرة معارف القرن العشرين (دار المعرفة سنة ١٩٧١م) جـ ٢ . ص ٦٧١ .

[٢] – أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبدالله الظاهرى الحنفى .المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . تحقيق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عبدالفتاح عاشور . الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ٢ .ص ٢٢١ .

[٣] – ابن تغرى بردى . المنهل الصافى .ح ١ . ص ٢٠٠ .

مصر وسلاطينها إلى مكانة سامية، كان من أثره انسلال التركمان من سلطان التتار وإنضمامهم إلى سلاطين مصر، والعمل معهم وتحت إمرتهم[1].

ولما كان الدفاع عن بلاد الشام يتمركز فى المنطقة الشمالية والممتدة من طرطوس وحتى الفرات والمعروفة باسم الثغور[2] لذا عمل سلاطين المماليك على حيازتها والاستيلاء عليها من أيدى الأرمن والتتر، وخاضوا فى ذلك المعارك الكثيرة والتى كان التركمان يشاركون

---

١ – أبوالفدا "عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد . المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسنية – الطبعة الأولى جـ٤ . ص ٨١ .

٢ – إعتمدت الدولة المملوكية النظام الإسلامى القديم الذى عرف بالعواصم والثغور ، وأجرت عليها بعض التعديلات فالعواصم عرفت بأنها الحصون المنيعة التى كانوا يعتصمون بها من العدو ، وكانت تحيط بالمنطقة الواقعة بين حلب وإنطاكية ومركزها الإدارى إنطاكية أو منبج . أما الثغور فهى الحصون التى بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غارات الروم، لذا سميت بالثغور الشامية، وتمتد بموازاة جبال طوروس وتشمل مسيس والاورنين وإذنه طرطوس والمصيصه وإياس وهى تؤمن الحماية لمرافئ بلاد الشام ؛ وثغور الجزيرة تشمل ملطية والحرث ومرعش والبيرة وجبر والرهانوين خلال هذا التقسيم يتبين أن الحصون الحدودية التى حمت درب الحدث قد شكلت ثغور الجزيرة ،أما الحصون التى حمت درب طوروس وممرات الشام قد شكلت الثغو الشامية . القلقشندى . صبح الأعشى (دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٧م) جـ ٤ . ص ١٣٠ – ص ١٣٤ –ص ٢٢٨ –ص ٢٢٩ ، ياقوت معجم البلدان (دار الفكر ببيروت) حـ ٣ .ص ١٠٧ ، القرمانى ،اخبار الدول (عالم الكتب سنة ١٩٩٢م) ص ٣٣٩ .

فيها[1]، إلى أن آلت فى نهاية الأمر إلى سلاطين المماليك[2] فأقطعوها إلى التركمان، لما لهم من قوة عسكرية، وسمحوا بزراعتها وفلاحتها، وقدموا إليهم التسهيلات الكثيرة المشجعة للاستيطان والمحفزة له، فأعفوهم من خراج الأرض الذى هو حق للدولة[3]، كما اسقطوا عنهم الكثير من الضرائب التجارية[4]، وأطلقوا أيديهم فى التوسع على حساب الأرض[5]، مما كان له كبير الأثر فى ظهور الإمارات التركمانية فى هذه المنطقة، ومنها إمارة بنى دلفادر، والتى كان من المفروض فيها أن تكون تابعة لسلاطين المماليك، إلا أن أمراء تلك الإمارة لم يستمروا على ولائهم، بل عملوا فى كثير من الأحيان على استغلال الظروف المناسبة للخروج على تبعيتهم لسلطنة المماليك، ومهاجمة أراضيها، بل والتجرؤ على السلطان المملوكى نفسه أحياناً، مما سبب لدولة المماليك الكثير من المتاعب على حدودها الشمالية ..هذه الحدود التى اتبع فيها المماليك

---

١ – أبوالفدا :المختصر فى أخبار البشر جـ٤ .ص ٣ ،ص ٨٨ ،ص ١٣٩ ،أبوالمحاسن . المنهل الصافى جـ٣ .ص ٤٥٩، المقريزى . السلوك لمعرفة الملوك (دار الكتب العلمية بيروت– ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م) جـ ٣ ص ٢٢٩ ،ص ٢٥٢ .

٢ – يقول القلنشندى أن الأرمن قد غلبوا على منطقة الثغور، وظلت فى أيديهم إلى أن أخذها منهم مرة أخرى الظاهر بيبرس ،والأشرف خليل بن قلاوون والأشرف شعبان. انظر صبح الأعشى جـ٤ .ص ١٧٩ .

٣ – القريزى :السلوك جـ٣ . ص ٢٣٠ .

٤ – المرجع السابق جـ٣ . ص ٢٥٥ .

٥ – أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ .ص ١٣٩ ،المقريزى .السلوك جـ٣ .ص ٢٢٩ .

سياسة عسكرية تقوم على أساس أن هذه المنطقة تمثل أحد خطوط الدفاع ضد الإعتداء الخارجى.

ومن هذا المنطلق نالت إمارة بنى دلفادر إهتماماً بالغاً نابعاً من السياسة العسكرية المملوكية، إذا وكل إليهم المماليك مهمة حماية درب الحدث على طول ثغور الجزيرة، بأعتبارهم نواب وولاة لسلاطين المماليك، إلا أن بنى دلغادر قد ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات متقلبة بين الخضوع والتبعية حيناً، والثورة والعدوان أحياناً، مما جعل هذه المنطقة تعانى الكثير من الاضطرابات لأمراء تلك الأمارة بالقوة العسكرية حينا وبالملاطفة والملاينة حينا آخر حتى بخضعوا للضغوط المملوكى.

وهذا ما سوف اتناوله فى هذا البحث عن علاقة إمارة بنى دلغادر بسلاطين المماليك فى مصر والشام والقوى المجاورة لهم.

قيام إمارة بنى دلغادر :

وصل أبناء دلغادر إلى الأناضول مع هروب التركمان أمام الزحف المغولى الكاسح أيام جنكيزخان[1]، وكان يرأس هذه العشيرة أمير يقال له دلغادر[2]، واستقر بهم فى نواحى البستان ومرعش، ويرى

---

١ - محمود شاكر :التاريخ الإسلامى (المكتب الإسلامى ٢٠٠٠م) جـ٨ .ص ٥٥ .

٢ - دلغادر – ودلغادر هذا فى الكتب العربية أما الأجنبية ذلغادر ، ودلغدر، وذو الغدر – ويرجع السبب فى ذلك أن الأبجدية اللاتينية ليس بها حرف العين، إلا أن الأصح فى التسمية ما ذكرته المصادر العربية مثل ابن الوردى فى تاريخه (دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٦م) جـ٢ . ص ٤٥٨ ابن تغرى بردى- النجوم الزاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومى)- ج١٥ ص٢١١، ابن حجر- إنباء الغمر (دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٦م)- ج٨ ص٣٤٣،

القرمانى أنهم كانوا يزعمون أن أصولهم ترجع بهم إلى كسرى أنوشروان ملك فارس[1]، إلا أن المؤرخ التركى ينكر ذلك ويرى أنه لا صحة لهذا الإدعاء على الرغم من أنهم كانوا يذكرون هذا النسب فى نقودهم باسم "دلغادر الساسانى " ويؤكدون ذلك على منابرهم، فيرى بأنهم يرجعون فى أصولهم إلى طائفة التركمان[2]، ويؤيد هذا الرأى ابن الوردى ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م، وكان معاصرا لهم فأشار بأنهم من التركمان[3] .

زين الدين قراجا بن دلغادر وتأرجح سياسته بين الولاء والعداء للمماليك:

أول من ذكرته المصادر من أسرة دلغادر هو خليل بن دلغادر ففى حوادث ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م ذكر المقريزى بأن الحرب نشبت بين خليل الطرفى [4] وبين خليل بن دلغادر على إمتلاك أبلستين[5]، كان النصر فيها

ابن إياس – بدائع الزهور (مطبعة الشعب ١٩٦٠م) جـ١ من القسم الثانى ص ٢٣٠، خليل أدهم ألدم- تاريخ الدول الاسلامية- ج٢ ص٤٢٩، محمد أحمد دهمان- العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك- ص٢٣.

١ – القرمانى :أخبار الدول ص ٣٣٩ .

٢ – القرمانى :أخبار الدول ص ٣٣٩ .

٣ – خليل أدهم الدم :تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ .ص ٤٢٩

٤ – لم أعثر له على ترجمة .

٥ البستان وأبلستين مدينة مشهورة ببلاد الروم تقع شرق قيسارية وهى من مدن الثغور أيام الروم وتقع حالياً جنوب تركيا. دائرة المعارف الإسلامية- ج١ ص٧١٠، صفى الدين عبد المؤمن- مراصد الإطلاع (دار المعرفة ١٩٥٤م)

لابن دلغادر، ورغم ذلك لم يليها إلا الطرفى بمعونة من نائب الشام[1] ويبدو أن ذلك كان لفترة وجيزة جداً لدرجة أن المقريزى عاد فذكر فى حوادث نفس العام فقال : وكان ابن دلغادر قد تمكن بأراضى أبلستين، وكثرت زراعاته بها، وأخذ يتخطف من أطراف الروم، فخشى أرتنا منه أن ينازعه فى مملكة الروم[2]، ثم عاد فذكره صراحة فى حوادث ٧٣٩هـ بأن ابن دلغادر نائب أبلستين أغار على الروم، فقتل منهم ونهب الشئ الكثير[3]، ثم تولى بعد خليل هذا ابنه زين الدين قراجا بن دلغادر – حيث يعد المؤسس الحقيقى لهذه الإمارة[4]– فبعد أن تمكن من تقوية نفسه فى الأبلستين أعلن إستقلاله بإمارته سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م[5]، وقد بدأت العلاقات بين بنى دلغادر والمماليك منذ وقت مبكر، فقد استطاع زين الدين قراجا المؤسس الحقيقى للإمارة إكتساب ثقة السلطان المملوكى الذى أعلن تبعيته للدولة المملوكية، التى اعترفت به كقائد لها على الأبلستين، وخاصة بعد أن نجح فى إخضاع حاكم آسيا الصغرى المغولى للسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون[6].

ج١ ص١٨، كي ليسترنج– بلدان الخلافة الشرقية (مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٥م)– ص١٧٩.

١ – السلوك لمعرفة دول الملوك جـ٣ .ص ٢٣٠

٢ – المصدر السابق جـ٣ . ص ٢٤١ ،ص ٢٥٩ .

٣ – المصدر السابق جـ٣ . ص ٢٤١،ص ٢٥٩ .

٤ – أحمد فؤاد متولى . الفتح العثمانى للشام ومصر ص ٦٤.

٥ – خليل أدهم ألدم .تاريخ الدول الإسلامية جـ٢ . ص ٢٤٠ .

٦ – محمد سهيل طفوش .تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام. دار النفائس ط أولى ١٩٧٧م .ص ٢٧٧م

وتمكن بعد ذلك من السيطرة على قلعة درندة[1]، وأقام بها الدعوة للسلطان المملوكى الذى أخذها منه، وأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام[2]، كما أرسل السلطان إلى ابن دلغادر بتشريفه وشكره وأثنى عليه[3]، ويبدو أن العلاقة التى كانت بين نائب الشام تنكز[4] وبين ابن دلغادر كانت فى أعلى درجات الوفاق والإتفاق، فما أن تم القبض على تنكز بدعوى تخطيطه للخروج عن الطاعة وإعدامه فى المحرم ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م بالأسكندرية حتى أعلن زين الدين قراجا خروجه عن طاعة السلطان المملوكى نفس العام سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م[5]، ويبدو أن الذى شجع زين الدين قراجا فى خلع الطاعة نائب الشام الجديد الأمير الطنبغا الصالحى والمعروف بشدة عداوته لتنكز، والذى بدأ فى القبض والمصادرة لكل من كانت له به صلة، بتنكز[6] ومعلوم أن صلة تنكز بالأمير زين الدين كانت فى أشد حالاتها من، الوفاق فخاف زين الدين قراجا من القبض عليه أو عزله أو أن تناله عقوبة فأعلن عصيانه.

---

١ – درندة أو طرندة كما يذكر المقريزى فتحت على يد عبدالله بن عبدالملك سنة ٨٣هـ /٧٠٢م فتوطنها المسلحون وبنوا بها مساكن وهى على بعد ثلاثة مراحل من ملطية وداخلة فى بلاد الروم . ياقوت: معجم البلدان جـ٤.ص ٣٢ .

٢ – المقريزى .السلوك جـ٣ .ص ٢٥٢،ص ٢٨١

٣ – المصدر السابق جـ٣ . ص ٢٥٢ ،ص ٢٨١ .

٤ – انظر ترجمة تنكز ومحاكمته بشئ من التفصيل فى القريزى – السلوك جـ٣.ص٢٨٣،ص ٢٩٥ .

٥ – القريزى .السلوك جـ٣ .ص ٢٩٦ .

٦ – المصدر السابق جـ٣ . ص ٢٩٥ .

ولما زاد الفتق على الراتق أرسل فى العام التالى ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م المير طشتمر حمص أخضر الساقى نائب حلب[١] رسالة إلى السلطان المملوكى يخبره فيها بخروج ابن دلغادر عن الطاعة، وأنه جمع جموعاً كثيرة من التركمان واتفق مع ملك الروم أرتنا للهجوم على حلب، ويطلب نجدة عسكرية من مصر[٢]، فأمر السلطان المملوكى نائب الشام الأمير الطنبغا الصالحى بالمسير بالجند المملوكى لنجدته، حيث إلتقوا بالأمير قراجا وأعوانه، ودار القتال بين الطرفين، ولم يتمكن المماليك من هزيمة قراجا الذى عاد إلى الأبلستين وقد قوى أمره[٣] .

---

١ – كانت نيابة حلب تتمتع بأهمية خاصة فى عصر المماليك نظراً لخطورة موقعها على الأطراف الشمالية لدولة المماليك، مما جعلها محوراً لكثير من أحداث العلاقات المضطربة بين المماليك من ناحية والتركمان من ناحية أخري، لذلك اشتملت نيابة حلب على عدد كبير من النيابات الصغرى ليس له مثيل فى بقية نيابات الشام، ومن هذه النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب نيابة قلعة الروم، ونيابات الكختا وكركر وبهنسي وسميساط وعينتاب ودربساك والراوندان وبفراس والقصير والشغر وبكاس، بالإضافة إلى عدد آخر من النيابات الصغري التى كانت تقع خارج حدود الشام ولكنها تتبع نيابة حلب بحكم ملكية دولة المماليك لها، ومعظم هذه النيابات الصغرى الأخرى كانت داخل بلاد الأرمن، مثل ملطية وديركي ودرندة والأبلستين وإياس وطرسوس وآذنة. القلقشندى– صبح الأعشى– ج٤ ص٢٢٦ – ٢٢٧، سعيد عاشور– مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك– ص٣٢٥. دار النهضة العربية – بيروت – لبنان.

٢ – القريزى .السلوك جـ٣ . ص ٣٣٥ .

٣ – المصدر السابق جـ٣ . ص ٣٤٧ .

وفى هذا العام تولي السلطنة بمصر السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون، ولعل الأمير قراجا بن دلغادر أراد التقرب إلى السلطان المملوكي الجديد فأتي إليه مهنئاً فى ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، ويذكر المقريزي أن السلطان أنعم عليه بإنعامات كثيرة، وكتب له بالإمرية على التركمان فى نيابة الأبلستين [١] إلا أن العلاقات بين الأمير قراجا والمماليك لن تسر سيرها الطبيعي، وخاصة فى العام التالي عقب تولي أمور السلطنة للسلطان عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث ورد الخبر بخروج قراجا بن دلغادر عن طاعة السلطان المملوكي الجديد، مما دفع الأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب إلى التحرك بعسكره سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م لقتال ابن دلغادر، والتقي به عند جبل الولدل إلى جانب جيحان، ففر ابن دلغادر إلى الجبل حيث اعتصم به، واتخذ منه موقعاً حصيناً للتصدي للقوات المملوكية التى نهبت أثقاله، وأخذت بعض حريمه، وصعدوا إليه، فقاتلهم هو ومن معه، وتمكن من التغلب على الجند المملوكي بقيادة يلبغا اليحياوى، وقد وصف أبو الفداء فى تاريخه ما حدث فى هذه المعركة بقوله : "... وقتل فى العسكر وأسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك، واشتهر اسمه وعظم على الناس شره، وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا "[٢].

(١) المصدر السابق- ص٣٦٤.

(٢) أبو الفداء- المختصر فى أخبار البشر ج٤ ص١٦٣.

عودة الولاء الدلغادرى للسلطان المملوكي :

ما أن علم السلطان المملوكي بما حدث من نائب حلب حتى بادر بالكتابة إليه منكراً ما حدث منه، ومعنفاً له على فعله هذا[١]، ويبدو أن السلطان أراد إصلاح ما بين الدولة المملوكية وإمارة بني دلغادر، فأرسل فى العام التالي سنة ٧٤٥هـ /١٣٤٤م أمانا إلى الأمير قراجا بن دلغادر، وأفرج عن حريمه اللاتي كن فى حلب وأرسلهن إليه، وأقره فى إمارة الأبلستين[٢]، وقد بادر قراجا بن دلغادر بإعلان طاعته للسلطان المملوكي مع كتاب منه بصحبة أخيه وابن عمه يجدد فيه الولاء والطاعة، فأنعم عليه السلطان ببعض الأراضي القريبة منه والتى كانت تتبع نيابة حلب[٣]، فأرسل الأمير قراجا ابنه خليل بتقديمه وكتابه يشكر السلطان على ما أنعم به عليه، فخلع السلطان على ابنه، وجهز له تشريف[٤].

ويذكر المقريزي أن عودة ابن دلغادر إلى طاعة السلطان المملوكي قد تم بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب الجديد الذى تولي بدلاً من يلبغا اليحياوى [٥]، الذى كان ينقم على ابن دلغادر [١] وفى

---

(١) المقريزي- السلوك- ج٣ ص٤٠٧.

(٢) أبو الفداء- المختصر فى أخبار البشر- ج٤ ص١٦٣.

(٣) المقريزي- السلوك- ج٣ ص٤١٨.

(٤) المصدر السابق- ج٤ ص١٥.

(٥) كان يلبغا اليحياوى يكره ابن دلغادر كراهية شديدة وحاول الوقيعة بين ابن دلغادر وأحد أمرائه ويدعى "طرفوسن" أقامه الأمير يلبغا ضداً لأبن دلغادر،

أواخر سنة ٧٤٦هـ /١٣٤٥م تمكن قراجا بن دلغادر من الاستيلاء على قلعة كابان وربضها، وكانت من أمنع قلاع سيس [٢] مما يلي بلاد الروم وأسروا عدداً كبيراً من الأرمن[٣]، وسبوا نساءها وأطفالها[٤]، وأرسل رسولاً من قبله بهدية وكتاب فى سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م إلى السلطان المملوكي، يذكر فيه أنه أخذ هذه القلعة التى كانت بيد الأرمن، واحتوى على ما فيها، وقتل أهلها، فأنعم السلطان عليه بها[٥]، وخلع على رسوله، وجهزت لابن دلغادر خلعة مع صاحب البريد، فأخذها نائب الشام

وأغراه به، ووعده بإمرته على التركمان، مما جعله يدخل فى صراع مع ابن دلغادر، واقتتل الاثنان وانتصر ابن دلغادر بعد عدة معارك قتل فيها من الفريقين عدد كبير، فلما قدم الأمير أرقطاي إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يبذل جهده حتى أصلح بينه وبين غريمة طرفوسن. المقريزى- السلوك- ج٤ ص١٦.

(٢) كانت سيس تعد من أكبر حصون الأرمن، وتقع شمال شرق أذنة على هضبة تجاه جبال طوروس، وهى بلدة كبيرة، لها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار، وفيها قلاع صغيرة عليها أبراج مراقبة محاطة بخنادق واسعة، ولقد قاومت هذه المدينة حصار المماليك لها حوالي شهرين، قبل أن يتمكن الجيش المملوكي من دخولها وفتحها، وكانت قبلهم عاصمة الأرمن الذين يناصرون الصليبيين إلى أن سقطت على أيدي المماليك، الذين جعلوها نيابة مستقلة، ثم انتقلت منهم إلى سلطة الإمارة الدلغادرية. القلقشندي- صبح العشي ج٧ ص١٩٩، دائرة المعارف الإسلامية ج١٢ غيثاء أحمد نافع- العلاقات العثمانية المملوكية ص٣٥.

(٣) تاريخ ابن الوردي- ج٢ ص٤٩٠.

(٤) أبو الفداء- المختصر- ج٤ ص١٧٦.

(٥) المقريزى- السلوك ج٤ ص٢٧.

ومنع من حملها إليه، ويذكر المقريزى السبب فى ذلك بقوله : "إنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره، والقبض عليه"[١]. والحقيقة أن السبب فى سوء العلاقات بين الإمارة الدلغارية والسلطنة المملوكية آنذاك هو سياسة نواب الشام وحلب، الذين كانوا كثيرا ما يدخلون فى نزاع وخلاف مع أمير بني دلغادر، ومما يدل على ذلك أن ابن دلغادر بعد أن أعلن طاعته لسلاطين المماليك وفتحه لقلعة كابان من قلاع الأرمن وجدنا أن السلطان المملوكي أنعم عليه بها، لكن نائب حلب حاول أن يستنيب فيها شخصاً آخر من جهة السلطان[٢].

ويبدو أن السلطان المملوكي رفض أن ينيب عليها شخصاً آخر وأنعم على ابن دلغادر بها[٣]، ولعل هذا العمل قد أغضب كل من نائب الشام ونائب حلب، فأخذ نائب الشام خلعة السلطان إلى ابن دلغادر، ومنع من إرسالها إليه، مما دفع ابن دلغادر إلى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي وهو الذى كان تابعاً لسلطنة المماليك، ويساهم فى تأمين الحماية العسكرية للمنطقة الحدودية لدولة المماليك.

قراجا بن دلغادر يعلن عصيانه ويتحالف مع الثائرين على السلطان :

أعلن قراجا بن دلغادر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان المملوكي، وبلغت جرأته حداً كبيراً حيث لقب نفسه بالملك القاهر، وقد أشار أبو الفداء إلى ما فعله ابن دلغادر بقوله : " قراجا بن دلغادر

---

(١) المصدر السابق- ج٤ ص٤١.

(٢) أبو الفداء- المختصر- ج٤ ص١٦٧.

(٣) المقريزي- السلوك- ج٤ ص٢٧.

التركماني وجمائعة قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمي بالملك القـاهر وابان عن فجور وحمق ظاهر واغتر وطلب من صاحب سـيس الحمـل الذى كان يحمل إلى السلطان[١]، ولم تكن الدولة المملوكية لتقف عاجزة إزاء ما فعله زين الدين قراجا، لولا أن حدث ما لم يكن متوقعاً من نائب حلب الأمير بيبغا روس[٢]، الذى أعلن عصيانه وخروجـه عـن طاعـة السلطان المملوكي بمؤازرة الأمير أحمد الساقي نائب حمـاة، والأميـر بكلمش نائب طرابلس، قد تسلطن بيبغا روس سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م فى حلب، ولقب نفسه بالملك العادل[٣]، ووجد مؤازرة مـن قراجـا بـن دلغادر الذى قدم إلى حلب فى جمع كبير من التركمان يعلن تأييده لبيبغـا روس، الذى خرج للقائه مع نائب حماه ونائب طرابلس، وتقابلوا معـه عند الرستن[٤].

---

(١)أبو الفداء- المختصر- ج٤ ص١٧٤.

(٢) الأمير بيبغا روس القاسمي هو أحد المماليك الناصرية، وقد توفي السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهو من خاصكيته، وترقي فى زمن السلطان عماد الدين إسماعيل (٧٤٣- ٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م) أمير طبلخاناه، ثم ترقي فى زمن الكامل سيف الدين شعبان الأول (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، حيث أنعم عليه بتقدمة ألف، ثم تولي زمن الناصر ناصر الدين حسن (٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧- ١٣٥١م) نيابة السلطنة، ثم غضب السلطان عليه فسجنه، ثم أفرج عنه وولي نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان. المقريزي- السلوك- ج٤ ص١٨٨.

(٣) المقريزى- السلوك- ص١٠٦.

(٤) الرستن- بلدة قديمة بين حمص وحماة على نهر العاص. ياقوت- معجم البلدان- ج٢ ص٢١٠.

ولقد بدأ نوع من التآزر والتعاون بين قراجا بن دلغادر والأمير بيبغا روس الخارج عن طاعة السلطان المملوكي، وشرع السلطان المملوكي يعد العدة للقضاء على حركة الأمير بيبغا روس، فتوجه السلطان إلى دمشق، ومنها أرسل جيشاً التقي بالأمير بيبغا روس وأنصاره، فهزم بيبغا روس، وفر هارباً إلى الأمير قراجا بن دلغادر الذى تلقاه، وقام له بما يليق به، فأرسل إليه أمراء المماليك الذين هزموا بيبغاروس يطلبون منه القبض على بيبغا روس وإرساله إلى حلب، فرفض ابن دلغادر تنفيذ أوامر أمراء المماليك، وأخبرهم أنه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان به، وإرسال الأمان له [١].

ويبدو أن السلطان المملوكي قد أرسل مرسوماً من قبله إلى ابن دلغادر بالقبض على بيبغا روس وإرساله إلى حلب، إذا يذكر ابن كثير فى حوادث سنة ٧٥٤هـ أن ابن دلغادر قد احتال على بيبغا روس وأعوانه، وسلمهم إلى قبضة نائب حلب سيف الدين أرغون الكاملي، وأنه فعل ذلك خوفاً من صاحب مصر[٢].

وبعد أن تم القضاء على حركة بيبغا روس بدأ السلطان المملوكي يفكر فى القضاء على الأمير قراجا بن دلغادر الذى كان كثيراً ما يتمرد ويخرج عن طاعة المماليك، فأرسل إلى نائب حلب الأمير أرغون الكاملي[٣] يطلب منه أن يعمل الحيلة فى أحضار قراجا بن

---

(١) المقريزي- السلوك ج٤ ص١٦٤.

(٢) ابن كثير- البداية والنهاية فى التاريخ- ج١٤ ص٢٤٧ دار الفكر العربي (د. ت).

(٣) الأمير أرغون الكاملى من مماليك الكامل شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وترقي فى الخدمة حتى صار من أمراء الألوف، وولى

دلغادر، وجهز إليه تشريف برسمه وتقليده تقدمة التركمان، فأرسل إليه الأمير أرغون يطلب منه الحضور ليلبس التشريف السلطاني، ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء حلب، ويبدوا أن الأمير قراجا كان يدرك مغزي ذلك فاعتذر عن الحضور[١]، فأرسل السلطان المملوكي إلى الأمير أرغون الكاملي نائب حلب كتاباً يأمره فيه بالركوب إلى ابن دلغادر ومحاربته، فاعتذر الأمير أرغون بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سير إليه بيبغا روس لا يحاربه[٢]، فأصر السلطان المملوكي على محاربة ابن دلغادر، وجهز إليه الأمير عز الدين طقطاى الدوادار ومعه الكتب إلى نواب الشام لمشاركة الأمير أرغون الكاملي فى قتال ابن دلغادر[٣].

وبدأ أرغون الكاملي يعد عدته لقتال ابن دلغادر، بعد أن انصاع لأوامر السلطان المملوكي، الذى أمر نواب القلاع بأن يتحركوا مع أرغون الذى وصل عدد جنده إلى عشرة آلاف فارس سوى الرجالة والتركمان المعارضين لابن دلغادر، ونزل الأمير أرغون على الأبلستين فنهبها وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر -وقد امتنع بجبل عال- فقاتلوه لمدة عشرين يوماً، وجرح عدد كبير من الفريقين[٤]، فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا، وقاتلهم صدراً من النهار قتالاً شديداً، وكثر القتل فى أعوانه وأنصاره، حتى انهزم وولى هارباً، ونهب الجند أمواله

نيابة حلب ونيابة دمشق، ثم قبض عليه وسجن ونفي إلى القدس حيث مات بها سنة ٧٥٨هـ /١٣٥٧م. المقريزي- السلوك- ج٤ ص٢٣٣.

(١) المقريزى- السلوك- ج٤ ص١٧٨.

(٢) المصدر السابق- ج٤ ص١٧٩.

(٣) ابن كثير- البداية والنهاية- ج١٤ص٢٨٦.

(٤)المقريزى- السلوك- ج٤ ص١٨١.

وحواصله، وأسروا خلقاً من بنيه وذويه وحريمه، وأخذ الجيش كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والأمتعة[١].

محاكمة قراجا بن دلغادر وإعدامه :

استمر الجند المملوكي فى مطاردة قراجا بن دلغادر الذى فر إلى أطراف بلاد الروم، وظل نائب حلب يتبعه حتى قبض عليه وقيده[٢]، وحمل إلى حلب فدخلها، وسجن بقلعتها حتى جاء كتاب من السلطان المملوكي يأمر نائب حلب بحمله إلى مصر[٣]، وفى الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٧٥٤هـ / الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٣٥٣م وصل قراجا بن دلغادر إلى مصر وهو مقيد فى زنجير من الحديد، وأقيم بين يدي السلطان المملوكي حيث عددت ذنوبه[٤]، ووبخه السلطان على ما فعل، ثم أمر بتسميره، وطافوا به فى القاهرة وهو مسمر على جمل[٥]، ثم أدخل إلى السجن، واستمر مسجوناً به قرابة شهرين إلى أن أصدر السلطان أمراً بإعدامه، فأخرج من السجن، ووضع تحت القلعة

---

(١) ابن إياس- بدائع الزهور - ج١ ق١ ص٥٥٢.
(٢) ابن كثير- البداية والنهاية- ج١٤ ص٢٤٨.
(٣) المقريزي- السلوك- ج٤ ص١٨١.
(٤) ابن إياس- بدائع الزهور- ج١ ق١ ص٥٥٢
(٥) المصدر السابق- نفس الجزء والصفحة.

حيث قام النائب قبلاي بتوسيطه بالسيف قتلاً [1] فى الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م [2].

وهكذا استطاع المماليك التخلص من زين الدين قراجا بن دلغادر مؤسس إمارة بني دلغادر بعد أن سبب الكثير من المتاعب للدولة المملوكية، وتم إعدامه فى القاهرة ليكون عبرة لغيره من حكام الإمارات التركمانية إذا ما فكر أحدهم فى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي.

تطور الأمور فى الإمارة الدلغارية عقب قراجا :

بعد مقتل قراجا بن دلغادر استقر مكانه ابن رمضان التركماني[3]، حيث رسم له السلطان المملوكي بالإمرة على التركمان

---

(١) المقريزى- السلوك- ج٤ ص١٨٣.

(٢) اختلف الباحتون المحدثون فى تاريخ وفاة قراجا بن دلغادر، فيذكر المستشرق زامباور والمؤرخ التركي خليل أدهم ألدم أنه توفي سنة ٧٨٠هـ، ولا يأتيان بما يؤيد صحة رأيهما، بينما يري د/ أحمد فؤاد متولي أنه توفي سنة ٧٤٥هـ، والحقيقة أنه قتل فى القاهرة سنة ٧٥٤هـ كما ذكر كل من المقريزي وابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي. أنظر- السلوك ج٤ ص١٨٣، الدرر الكامنة (دائرة المعارف العثمانية ١٩٧٢م)ج٣ ص٣٢٩، النجوم الزاهرة ج١٠ ص٢٩٤، زامباور- معجم الأنساب (دار الرائد العربى ببيروت سنة ١٩٨٠م)- ص٢٣٥، خليل أدهم ألدم- تاريخ الدول الإسلامية ج٢ ص٤٣٠، د/أحمد فؤاد متولي- الفتح العثماني للشام ومصر ص٦٤.

(٣) بنو رمضان عشيرة تركمانية وفدت مع الأتراك العثمانيية فى العهد السلجوقي، واستقرت فى منطقة أذنة بعد أن احتلها المماليك سنة ٧٦١هـ /١٣٦٠م، وجعلوها نيابة تابعة لهم، وقد اعترف السلطان لأميرهم أحمد بن رمضان بحكم المصيصة وبياس وبعض نواحي وارساق وطرطوس التى استولي عليها سنة ٨١٨هـ /١٤١٥م، ثم توفي فى العام التالي، ووقع الخلاف بين

سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م، والسيطرة على بنـي دلغـادر، وأنعـم عليـه بالإقطاع وعلى مجموعة من أصحابه ما بين إمرة عشرات وطبلخاناه[١].

ولعل أبناء قراجا قد شـعروا بـضعف نفـوذهم أمـام الدولـة المملوكية، فقدموا فى العام التالي سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م بهدايا كثيرة للسلطان المملوكي، وأبدوا اعتذارهم عما حدث من أبيهم، فأعيد كبيرهم خليل بن قراجا إلى الإمارة[٢]، واستمرت العلاقات بين الطـرفين طيبـة وودية أكثر من عشرين عاماً إلى أن قام الـسلطان المملـوكي بتعيـين الأمير مبارك الطازي نائباً على الأبلستين، وطلب منه مقاتلة خليـل بـن دلغادر أمير التركمان، ولم تذكر المصادر التاريخية المتاحة السبب فـى هذا التغير المفاجئ فى سياسة المماليك تجاه بني دلغادر، وإنمـا تـذكر المصادر أنه فى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م التقي أمير التركمان خليل بن دلغادر بالأمير مبارك شاه الطازي الذى عين من قبل السلطان المملوكي

أبنائه، وانتهي بتولي ابنه إبراهيم الحكم من بعده فى العام نفسه، واستمر فى حكم هذه الإمارة حتى ٨٣١هـ /١٤٢٨م حيث قتل على يد المماليك فى مصر، وقد سقطت هذه الإمارة على يد العثمانيين ١٠١٧هـ /١٦٠٨م. القلقشندي- صبح الأعشي ج٧ ص١٨٩، ابن شاهين الظاهري- نيل الأمل فى ذيل الدول (المكتبة العصرية ببيروت ٢٠٠٢م)- ج١ ص٢٦٦، ج٥ ص١٠٥، القرماني- أخبار الدول ج٣ ص١٠٥، زامباور- معجم الأنساب- ص٢٣٤.

(١) المقريزي- السلوك- ج٤ ص١٨٣.

(٢) المصدر السابق- ج٤ ص٢٢١.

نائباً على الأبلستين، وتقاتلا، فمال عليه ابن دلغادر وضرب عنقه بالسيف، وتغلب على من معه[1].

وتمادي خليل بن دلغادر فى عدائه للمماليك مما اضطر السلطان المملوكي الصالح صلاح الدين حاجي الثاني (٧٨٣- ٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م) إلى إرسال حملة عسكرية فى سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م اشترك فيها الأمير أشقتمر نائب الشام بعسكر دمشق، والأمير إينال اليوسفي بعسكر حلب، والأمير كمشبغا الحموي بعسكر طرابلس، والأمير طشتمر القاسي بعسكر حماه، والأمير طشامر العلائي بعسكر صفد، بالإضافة إلى نواب القلاع وتركمان الطاعة والعربان[2]، واتجهت الحملة العسكرية المملوكية من حلب إلى مرعش، ومنها إلى ألبستان ثم ملطية، والتركمان يفرون منهم ويتحصنون بالجبال، فلما تركهم العسكر وعادوا انقض عليهم التركمان أثناء عودتهم، وقتلوا منهم ونهبوا[3]، فعاد إليهم الجند المملوكي، وقتلوا عدداً منهم، ودخلوا إلى الأبلستين بعد أن عين السلطان المملوكي الأمير علاء الدين ألطنبغا السلطاني نائباً على الأبلستين، وأمره بمطاردة بني دلغادر والقضاء عليهم [4].

عصيان الأمير علاء الدين نائب الأبلستين وأثره على بني دلغادر

حينما نجح السلطان برقوق فى القضاء على سلطنة المماليك البحرية، وأقام دعائم الدولة المملوكية البرجية سنة ٧٨٤هـ /

---

(١) القرماني- أخبار الدول- ج٣ ص١٠٠.

(٢) المقريزي- السلوك- ج٥ ص١٢٠.

(٣) القرماني- أخبار الدول- ج٣ ص١٠٠.

(٤) المقريزي- السلوك- ج٥ ص١٣٧.

١٣٨٢م، ثار عليه الأمير علاء الدين ألطنبغا التركي السلطاني نائب الأبلستين [١] ولم يحلف له، بل استولي على قلعة درندة التابعة له، وألقي القبض على بعض أمرائها، ولما لم يجد مناصرة ومؤازرة من نواب الشام الذين لم يؤيدوه فى ثورته، وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصري الذى كتب إليه يهدده ويطلب منه العودة إلى الطاعة، لكنه أبي وفر هاربا إلى بلاد التتر[٢].

وانتهز بنو دلغادر الاضطرابات التى حدثت آنذاك نتيجة عصيان الأمير علاء ألطنبغا فقرر خليل بن دلغادر مهاجمة القوات المملوكية فى بلاد درندة ودوركي[٣] ومرعش والأبلستين، حيث نهب وعاث فساداً هو وأعوانه وأنصاره، ولما علموا بقدوم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب فروا من أمامه[٤]، وإزاء هذه التطورات قرر السلطان المملوكي تعيين الأمير تمر باي الحسني نائباً على الأبلستين فى سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م[٥].

ويبدو أن أمراء بني دلغادر أرادوا خداع السلطان المملوكي فأرسلوا سولي بن دلغادر كي يحلف بالطاعة للأمير يلبغا الناصري أمير حلب، ومكث أياماً فى حلب ينتظر كتاب السلطان بتعيينه[٦]، لكنه فوجئ

---

(١) المصدر السابق- ج٥ ص١٣٨.

(٢) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١١ ص٢٢٩.

(٣) دروكي- بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف بعد هاء النسب من بلاد الروم وهو من مضافات حلب. ياقوت- معجم البلدان- ج٥ ص٢٠.

(٤) المقريزي- السلوك- ج٥ ص١٦٦.

(٥) المصدر السابق- ج٥ ص١٦٨.

(٦) المصدر السابق- ج٥ ص١٧٥.

بمرسوم السلطان يطلب إلقاء القبض عليه، فأمر أمير حلب بسجنه فى القلعة، حتى أتي أمر السلطان المملوكي بإحضاره إلى مصر، فتسلمه نائب حلب، وأنزله إلى الميدان، فهرب منه ليلاً، وركب وراءه الأمير يلبغا الناصري ولكنه لم يدركه[١].

ولعل السلطان المملوكي أراد الانتقام من أمراء بني دلغادر جميعاً، لأنهم سببوا الكثير من المتاعب للدولة بعصيانهم الدائم، وثوراتهم المتكررة، وخروجهم عن الطاعة، ولذلك قرر القضاء على كبيرهم الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، ولم يجد مفراً من أعمال الحيلة للقضاء على هذا الأمير، فاستمال إليه أحد أمراء التركمان، وهو الصارم إبراهيم، وحرضه على قتله، ونجح الصارم فى مهمته، حيث قتل الأمير خليل بالقرب من مدينة مرعش سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م [٢]، وعقب مقتل الأمير خليل بن دلغادر أراد السلطان المملوكي استمالة أخيه سولي بن دلغادر، فعهد إليه بنيابة أبلستين سنة ٧٩٢هـ /١٣٩٠م[٣]، لكن سولي استمر فى سياسته العدائية ضد المماليك، فأمر السلطان المملوكي نواب الشام بالتوجه لقتال هذا الأمير وأعوانه، فاتجهوا إليهم والتقوا بهم عند "طنون" ما بين مرعش والبستان فاستطاع التركمان هزيمة الجيش، وقتلوا عدداً كبيراً منهم نائب حماه ونائب بهستي[٤].

---

(١) المصدر السابق- ج٥ ص١٧٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني- الدرر الكامنة- ج٢ ص١٧٨، ابن تغري بردي- الدليل الشافي على المنهل الصافي القاهرة ١٩٨٣م)- ج١ ص٢٩٢، النجوم الزاهرة- ج١١ ص٣٠٩.

(٣) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٢ ص١٧.

(٤) القرماني- أخبار الدول- ج٣ ص١٠٠.

التحالف الدلغادري العثماني :

بعد انتصار الأمير سولي بن دلغادر على الجند المملوكي بدأ يتجه بأنظاره نحو العثمانيين ليكونوا سنداً له وعوناً ضد المماليك، فسعي لإقامة علاقات طيبة بهم(١)، ووطد هذه العلاقات عن طريق المصاهرة معهم، فزوج ابنته الصغرى إلى السلطان العثماني محمد جلبي(٢)، فشق ذلك على صاحب مصر الذى دس على سولي بك من يقتله كما قتل أخوه من قبل، فقتله أحد التركمان سنة ٨٠٠هـ /١٣٩٧م أثناء نومه بالقرب من مرعش(٣)، وتوجه ابن سولي إلى الملك الظاهر برقوق الذى قرر تعيينه مكان أبيه، فلما عاد إلى بلاده وجد ابن عمه ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر قد تولي الملك بدعم من

---

(١) محمد أحمد دهمان- العراك بين المماليك والعثمانيين- ص٢٥.

(٢) د/ أحمد فؤاد متولي- الفتح العثماني للشام ومصر- ص٦٥.

(٣) يذكر المقريزي أن الأمير سولي بن زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني قتله رجل من أقاربه يقال له على بك، وذلك أنه غاضبه وأخرجه من الأبلستين، فنزل حلب، ثم اتفق مع غلامه على القصير على قتل الأمير سولي بتدبير من السلطان المملوكي، واحتالا عليه بأن ضرب على بك غلامه ضربا مبرحاً، فمضي الغلام إلى سولي يشكو حاله، فآواه عنده، ووعده بأخذ ثأره، فما زال عنده حتى سكر سولي ليلة وانفرد به الغلام، وضربه بسكين فقتله، ثم صاح، فلما جاءه التركمان أوهم أن بعض أعدائه اغتاله، ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب، فلما علم السلطان بما حدث استدعي على بك وغلامه، وأنعم عليهم بإمرتين لعلى بك إمره طبلخاناه، ولعلي القصير بإمرة عشرة. المقريزي- السلوك ج٥ ص٤١٧، ابن تغرى بردي- النجوم الزاهرة- ج١٢ ص١٦٦.

العثمانيين، فوقعت بينه وبين ابن عمه معركة كبيرة انتصر فيها ناصر الدين، ووطد أقدامه فى حكم البلاد[١].

ونظراً لمناصرة المماليك لابن عمه ضده فإن ناصر الدين محمد بن خليل قرر التعاون مع العثمانيين، وبدأ يوطد صلاته بهم، فذهب إلى أنقرة سنة ٨١٥هـ /١٤١٢م، حيث التقي بالسلطان العثماني محمد جلبي لينال تأييده ودعمه[٢]، واستمر ناصر الدين محمد فى أتباع سياسته العدائية تجاه المماليك، وأخذ يناصر الخارجين والثائرين عليهم، فحينما علم أن الأمير سيف الدين جانبك الصوفي[٣] قد خرج على طاعة السلطان المملوكي برسباي وتمرد عليه، قام الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمناصرته فى سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م، ورفض تسليمه للمماليك، فجرد له السلطان المملوكي حملة عسكرية، فلما علم ناصر

---

(١) القرماني- أخبار الدول- ج٣ ص١٠٠.

(٢) خليل أدهم ألدم- تاريخ الدول الإسلامية- ج٢ ص٤٣٠.

(٣) الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفي الظاهري من مماليك الظاهر برقوق، وترقي فى أيام ابنه السلطان فرج بن برقوق إلى أن صار أمير مائة، ومقدم ألف، ثم ولاه الملك المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ /١٤١٢ - ١٢٢١م) رأس نوبة النوب، ثم نقله بعد مدة إلى امرة سلاح، ثم سجن فى عهده، إلى أطلق الأمير سيف الدين ططر (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) سراحه بعد موت المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة وتقدمة ألف، ثم تقدم حتى صار أتابك العسكر بالديار المصرية، وأوصاه الملك الظاهر سيف الدين ططر عند موته بتدبير ملك ولده الصالح ناصر الدين محمد (٨٢٤-٨٢٥هـ /١٤٢١-١٤٢٢ م)، فلما مات الملك الظاهر ططر لم يحسن جانبك التدبير، فنفر منه الجميع، وقبض عليه وسجن بالإسكندرية، ثم هرب إلى الشام، ومنها إلى آسيا الصغري. ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٢١١-٢١٢.

الدين باستعداد المماليك لقتاله أرسل ابنه الأمير فياض بن ناصر الدين بن دلغادر إلى القاهرة للتقرب للسلطان، وإظهار ولائه، ولكن السلطان رفض الاستجابة لهذا التقرب، وأمر بسجنه فى قلعة الجبل[١].

ولما علم ناصر الدين محمد بن دلغادر بما حدث لابنه أراد مدارة السلطان، وخاصة حينما علم بخروج العساكر من حلب لمحاربته، فبعث امرأته الحاجة خديجة خاتون بهدية للسلطان، ومعها مفاتيح قيصرية التى أخذها من إبراهيم بن قرمان[٢]، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها، وأن يفرج عن ولدها فياض بن ناصر الدين المسجون بقلعة الجبل، وكتب بذلك كتاباً وعد فيه بتقديم الكثير من الأموال[٣]، وسارت خديجة خاتون إلى القاهرة، ومعها كتاب الأمير ناصر الدين بن دلغار والكثير من الهدايا، فاستقبلت استقبالا طيباً من السلطان الذى قبل هداياها، وأفرج عن ابنها فياض، وخلع عليه، وأمر بتوليته نيابة مرعش[٤]، وأرسل شادي بك أحد رؤوس النواب بمال وخيل إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وإلى والده سليمان، وكتب لهما بأن يسلما شادي بك جانبك الصوفي ليحمله إلى القلعة[٥]، فلما وصلت زوجة الأمير ناصر الدين وابنها فياض إلى زوجها ترك مداراة السلطان، وأخذ المال من شادي بك، ورفض إعطاءه الأمير جانبك الصوفي، وأعلن عصيانه

---

(١) المقريزي- السلوك- ج٥ ص٢٨٥.

(٢) المصدر السابق-ج٥ ص٢٨٦.

(٣) ابن تغرى بردى- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٢١٣.

(٤) المصدر السابق- ج١٥ ص٢١٤.

(٥) السخاوي- التبر المسبوك فى ذيل السلوك- ج٢ ص٢٢٥.

للسلطان المملوكي، وتأييده للأمير جانبك الصوفي، وزوجه ابنته الأميرة نفيسة[١].

ولما علم السلطان بما حدث من ناصر الدين محمد بن دلغادر قرر إعداد حملة عسكرية لتأديب هذا الأمير الخارج عن الطاعة، وعزم على السفر، وجمع الأمراء وحلفهم على طاعته، وعين سبعة أمراء للسفر، وألفاً من المماليك السلطانية، وألفاً من أجناد الحلقة، فأخذوا فى الاستعداد للسفر، والتحرك إلى الأبلستين[٢]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن الأمير إبراهيم بن قرمان [٣] الذى كان يتخذ موقفاً معادياً

---

(١) المصدر السابق- ج٢ ص٢٢٦.

(٢) المقريزي- السلوك- ج٧ ص٣٠٣.

(٣) كانت إمارة بنو قرمان واحدة من الإمارات التى قامت على أنقاض الدولة السلجوقية، لكنها كانت أكبرها وأشدها بأسا، ولم يفقها فى ذلك إلا دولة العثمانيين، وتعود نشأة هذه الإمارة إلى سنة ٦٢٥هـ /١٢٢٨م حين فتح السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الأول مدينة أرمناك، وأسكن بها بعض القبائل التركمانية، وعين عليهم أميراً منهم هو كريم الدين قرمان بن نوره صوفي، الذى استمر أميراً حتى توفي سنة ٦٦٠هـ /١٢٦١م بعد أن استقل بإمارته التى قيل لها قرمان نسبة إليه، وكانت قاعدتها لارنده، وقد تولي من بعده أبناؤه، ومن أبرزهم إبراهيم بن قرمان الذي اتخذ موقفا معادياً من العثمانيين، وكتب إلى السلطان المملوكي الأشرف إينال يستعديه على السلطان العثماني محمد الفاتح، ولم يكترث السلطان المملوكي بكلامه بسبب صلة الصداقة آنذاك بين العثمانيين والمماليك، مما دفعه إلى الخروج على سلطنة المماليك سنة ٨٦٠هـ /١٤٥٦م، فأرسل إليه السلطان حملة عسكرية لتأديبه، فاعتذر بعدها للسلطان، وطلب العفو والرضا عنه، فعفا السلطان عنه، وظلت علاقات القرمانيين بالمماليك طيبة حتى سقطت الإمارة على يد

للعثمانيين وتحالف مع المماليك، طلب من السلطان المملوكي بأن يملكه قيصرية وكانت بيد ناصر الدين بن دلغادر، ووعد بدفع مبلغ كبير للسلطان، الذى وافق من جانبه على مساعدته فى الاستيلاء على المدينة[1].

وقد قلق العثمانيون من الدعم العسكري المملوكي لقرمان، ومن تعاظم نفوذ هذه الإمارة، وكرد عثماني قام السلطان العثماني مراد الثاني بتأييد جانبك الصوفي المتمرد على السلطان المملوكي، والمؤيد من قبل ناصر الدين محمد بن دلغادر[2].

بنو دلغادر وسياسة المداهنة بين كل من المماليك والعثمانيين :

نتيجة لسياسة أمراء بني دلغادر توترت العلاقات المملوكية العثمانية ففى سنة ٨٤٠هـ /١٤٣٦م فقد استنجد الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بالسلطان العثماني مراد الثاني على إبراهيم بن قرمان، الذى أخذ قيصرية بموافقة السلطان المملوكي، فجهز مراد الثاني عسكراً لمحاصرة قيصرية وتسليمها إلى ابن دلغادر، فلما علم السلطان المملوكي بذلك كتب إلى أمراء الطاعة من التركمان بمعاونة إبراهيم بن قرمان، كما أمر نواب الشام بتوجه لنجدته[3].

العثمانيين سنة ٨٨٨هـ /١٤٨٣م. ابن تغرى بردي- النجوم الزاهرة ج١٦ ص٢٢٨، القرماني- أخبار الدول- ج٢ ص٥١١، خليل أدهم ألدم- تاريخ الدول الإسلامية- ج٢ ص٤١٦، زامباور- معجم الأنساب- ص٢٣٦.

(١) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٦١-٦٣.

(٢) ابن إياس- بدائع الزهور فى وقائع الدهور- ج٢ ص١٧٥.

(٣) المقريزي- السلوك- ج٧ ص٣٢٧، السخاوي- التبر المسبوك- ج٢ ص٥٤٧.

وتوجهت القوات المملوكية من حلب إلى الأبلستين، ففر من أمامهم ناصر الدين بن دلغادر، فقام أمراء الحملة بنهب الأبلستين وحرقها[١].

ولما وجد ابن دلغادر أنه لن يستطيع الصمود أمام المماليك قبض على جانبك الصوفي، وأرسل إلى السلطان المملوكي يخبره بذلك[٢].

والحقيقة أن الأوضاع لم تهدأ أو تستقر العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية إلا بعد مقتل جانبك الصوفي، وهزيمة ناصر الدين محمد بن دلغادر، والتزامه الطاعة للسلطان المملوكي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري عقد الصلح بين السلطان العثماني وإبراهيم بن قرمان فى نهاية سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م[٣].

وفي سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م وصل الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى القاهرة لتوطيد العلاقات بينه وبين المماليك، وقد بالغ السلطان المملوكي جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م) فى استقباله، حيث جهزت له الإقامة فى طول طريقه، وسار كثير من أعيان الدولة إلى لقائه، ومعهم الخيول والخلع له وللأعيان الذين بصحبته، ولما قدم على السلطان جقمق أنعم عليه باستمراره على نيابة أبلستين[٤]، ولزيادة الارتباط بينه وبين هذا الأمير طلب الزواج من ابنته

---

(١) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٦١.

(٢) ابن حجر- أنباء الغمر بأبناء العمر- ج٨ ص٣٤٣.

(٣) السخاوي- التبر المسبوك- ج٢ ص٥٤٨.

(٤) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٣٧٧-٣٧٨.

الأميرة نفيسة التى كانت زوجاً لجانبك الصوفي[١]، وقدمت مع والدها لزيارة مصر بعد مقتل زوجها، فوافق الأمير، ومهرها السلطان المملوكي ألف دينار بالإضافة إلى كثير من الهدايا[٢].

وفى سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م تولي الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر خلفاً لأبيه، وأعاد سليمان سياسة التقرب إلى العثمانيين[٣]، ونتج عن هذه السياسة أن أرسل السلطان العثماني مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥هـ / ١٤٢١-١٤٥١م) إلى الأمير سليمان يطلب منه تزويج ابنته سيتي مكرمة خاتون لابنه الأمير محمد[٤]، ويري المؤرخ التركي خليل أدهم ألدم[٥] أن مراد الثاني حاول أن يحصل بهذه الزيجة على حليف من التركمانيين ضد بني قرمان وضد القرا قوينلو[٦].

---

(١) ابن تغرى بردى- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (عالم الكتب سنة ١٩٩٠م) -ج١ ص٤٧.

(٢) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٥ ص٣٧٨.

(٣) محمود شاكر- التاريخ الإسلامى- ج٨ ص٥٦.

(٤) د/ أحمد فؤاد متولي- الفتح العثماني للشام ومصر- ص٦٥.

(٥) خليل أدهم ألدم- تاريخ الدول الإسلامية- ج٢ ص٤٣١.

(٦) ظهرت إمارة القرا قوينلو (الشاة السوداء) فى الربع الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ويري البعض أن اسمهم يعود إلى لون أغنامهم، بينما يري البعض الآخر أنه يعود إلى لون أعلامهم، وكانت هذه الإمارة فى الأصل قبيلة من قبائل التركمان، انحدرت من أماكنها القديمة فى بلاد التركستان، واتجهت إلى بلاد أذربيخان بزعامة بيرام خواجه، الذى عمل فى خدمة السلطان أويس الجلائري، وبعد وفاته استولي بيرام خواجه على الأماكن الواقعة جنوبي بحيرة وان، ودخلت الموصل وسنجار وأرجيسن تحت

ولما توفي المير سليمان سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤ م خلفه الأمير ملك أرسلان بك، الذى اتبع سياسة المداهنة والملاينة بين كل من المماليك والعثمانيين ليحظى بصداقتهما معاً[١]، فتقرب من السلطان العثماني محمد الفاتح، وقوى علاقته به، فأغضب بذلك السلطان المملوكي، فكتب إليه يعتذر بأن ما يفعله مع السلطان العثماني محمد الفاتح إنما هو مصانعة له، لكون بلاده متاخمة للعثمانيين، ولا يمكنه مشاقته لكونه لا طاقة له به، فتظاهر السلطان المملوكي بقبول اعتذاره،

نفوذه، واحتفظ بالحكم هناك حتى وفاته سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، ثم تولي من بعده ابنه قرا محمد تورمسن الذى يعد المؤسس الحقيقي للإمارة القرا قونيلية، التى كان يدين أصحابها بالمذهب الشيعي، ومن أبرز أمراء هذه الإمارة قرا يوسف الذى استطاع الاستيلاء على تبريز، ومد سيطرته على كل أذربيجان، ونجح فى ضم العراق إليه، وأرسل ابنه محمد شاه نائباً عنه فى بغداد، وأخذ يعمل على توسيع رقعة بلاده حتى توفي سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، وبموته بدأت الخلافات تدب بين القرا قونيلية من أجل النزاع على الحكم، حتى تمكن الأمير حسن الطويل زعيم الآق قونيلو (الشاة البيضاء) من هزيمتهم، والسيطرة على ممتلكاتهم سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٧م. ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج١٤ ص١٦٣، القرماني- أخبار الدول ج٣ ص٩١، ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب-(دار ابن كثير بدمشق سنة ١٩٨٦م) ج٩ ص٢٣٧، عباس إقبال- تاريخ إيران (دار الثقافة سنة ١٩٨٩م) ص٦٢٩، ستانلي لين بول- طبقات الإسلام (دار منشورات البصرى ١٩٦٨م)- ص٢٣٥.

(١) سالم الرشيدى- محمد الفاتح (مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م)- ص٣٠٤.

واتجه إلى حسن الطويل زعيم الآق قوينلو (الشاه البيـــضاء)[1] يـــأمره بالاستيلاء على خرتبرت[2]، وأوعز فى الوقت نفسه إلى ملك أرسلان أن

---

(١) إمارة الآق قونيلو (الشاه البيضاء) (٨٠٦ – ٩١٤هـ / ١٤٠٣ – ١٥٠٨م) ظهرت هذه الإمارة سنة ٨٠٦هـ /١٤٠٣م، وهى عشيرة تركمانية كبيرة هاجرت من تركستان إلى أذربيجان، ثم إلى نواحي ديار بكر، ثم استقرت فى النهاية بالأراضي الواقعة بين آمد والموصل، وكونوا إمارتهم فى أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وكانوا يعتنقون المذهب المذهب السني، ويعد قره أيلوك عثمان المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة، وكانت علاقة هذه الإمارة بكل من المماليك والعثمانيين غير طيبة، وكانت الدولتان تعدان هذه الإمارة خطراً عليها سواء بسواء، وقد ظهر العداء واضحاً بين أمراء الآق قونيلو وكل من المماليك والعثمانيين فى زمن زعيمهم حسن الطويل، الذى أعلن الحرب على المماليك والعثمانيين معاً، وأعد جيشين لمهاجمة المماليك والعثمانيين، وبقي هو فى جيش ثالث استعداداً لمن يحتاج إلى المعونة والمساعدة، وتحرك الجيش التركماني الذى بلغ زهاء مائة ألف مقاتل بقيادة الوزير عمر بك ويوسف ابن عم حسن الطويل لقتال العثمانيين، وبرر قادة الجيش هجومهم على الدولة العثمانية بأنهم يريدون العبور إلى إمارة دلغادر، ثم انقضوا على مدينة توقات، ومنها اتجهوا إلى قونية، والتقوا بالجيش العثماني الذى هزم التركمان شر هزيمة، ولم يستطع حسن الطويل التصدي للعثمانيين، حتى شغل بإخماد ثورة أخيه وابنه، ثم بتنظيم شئون الدولة فى فارس والعراق حتى توفي، وانهارت دولته بوفاته. ابن تغري بردي– حوادث الدهور– ج١ ص٣٠٢، ابن إياس– بدائع الزهور– ج١ ص٣٠٦، سالم الرشيدى– محمد الفاتح ص٣١١، محمد أنيس– الدولة العثمانية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٣م) ص٥٧.

(٢) خرتبرت– حصن يقع فى أقصي ديار بكر بينه وبين ملطة مسيرة يومين وبينهما نهر الفرات (البغدادي– مراصد الإطلاع ج١ ص٤٥٧).

يقاوم حسن الطويل، ويبدوا أن السلطان المملوكي كان يسعي للتخلص من هذين الأميرين التركمانيين الذين لا يثبتان على الولاء لأحد، فأراد أن يضرب أحدهما بالآخر[١]، ولكن الذى حدث أن ملك أرسلان سلم خرتبرت بغير قتال للأمير حسن الطويل، لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمقاتلته، أو لعله تعمد تسليم المدينة نكاية فى السلطان المملوكي[٢] الذى شق ذلك على نفسه، فلما أتي الأمير ملك أرسلان إلى مصر، وبينما كان يؤدي صلاة الجمعة فى المسجد سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م[٣] وثب عليه فدائي من طائفة الإسماعيلية وضربه بسكين حاد فقتله، وقد حامت الظنون والشبهات فى حادث هذا الاغتيال حول السلطان المملوكي خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ /١٤٦١ – ١٤٦٧م)، الذى ظن بإنه أرسل الفداوى لهذا الأمر بتآمر من شاه بوداق شقيق أرسلان، الذى كان يؤيده السلطان المملوكي، لاعتقاده بأن أرسلان قد سلم خرتبرت إلى الأمير حسن الطويل[٤].

التنافس المملوكي العثماني على النفوذ فى إمارة بني دلغادر :

بدأ التنافس بين المماليك والعثمانيين على النفوذ يظهر واضحاً فى زمن الأمير شاه بوداق الذى عين نائباً على الأبلستين من قبل السلطان المملوكي خشقدم وقد لقي شاه بوداق معارضة من أخيه شاه سوار الذى ساءه أن يقتل أخوه عذراً بتآمر من شاه بوداق فاستعان بالسلطان العثماني محمد الفاتح لكي يتوسط لدى السلطان المملوكي

---

(١) د/ سالم الرشيدي– محمد الفاتح ص٣٠٥.

(٢)المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٣) ابن شاهين الظاهري– نيل الأمل فى ذيل الدول ج٦ ص٢٣٢.

(٤) القرماني– أخبار الدول ج٣ ص١٠١.

خشقدم فى تعيينه نائباً خلفا لأخيه ملك أرسلان فأرسل السلطان محمد الفاتح رسالة إلى السلطان خشقدم يطلب منه فيها النيابة لشاه سوار، ورفض السلطان المملوكي الاستجابة لطلب السلطان العثماني الذى بادر بإرسال قوة عسكرية لمساندة شاه سوار الذى نجح فى الاستيلاء على ألبستان وفر شاه بوداق من أمامه إلى مرعسن [1] ولم يكن السلطان المملوكي ليقبل بالتدخل العثماني فى شئون إمارة بني دلغادر فامر فى سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م بإعداد حملة عسكرية لتأديب شاه سوار والقضار على تمرده ولكن أمر هذه الحملة لم ينفذ ويبدو أن السبب فى عدم خروجها هو ثورة أهل ألبستان على سوار ورفضهم لإمرته عليهم مما اضطره إلى الفرار من المدينة حيث أمر السلطان المملوكي بتعيين عمه الأمير رستم بدلاً منه ومن أخيه شاه بوداق الذى لم يستطع التصدي لشاه سوار [2].

لكن شاه سوار عاد مرة أخري إلى ألبستان واصطدم بعمه رستم ونشب القتال بينهما ولعل رستم قد هزم فى القتال مع شاه سوار حيث أرسل السلطان إلى نائب حلب ليقوم بعزل رستم وإعادة شاه بوداق على الحكم [3].

ولم تفلح محاولات السلطان المملوكي خشقدم فى التغلب على شاه سوار الذى يجد مساندة ومؤازرة من السلطان العثماني ومما ساعد على ازدياد نفوذه وفاة السلطان المملوكي خشقدم فى سنة ٨٧٢هـ /

---

(١) ابن إياس- بدائع الزهور ج٢ ص٤٣٦، السخاوي- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع (دار مكتبة الحياة ببيروت) ج٣ ص٢٧٤.

(٢) ابن شاهين الظاهري ك نيل الأمل فى ذيل الدول ج٦ ص٢٤٣.

(٣) ابن إياس- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج٢ ص٤٤٩.

١٤٦٨م واضطراب الأحوال السياسية فى مصر عقب وفاته حيث بويع أتابك العسكر أبو النصر سيف الدين بلباى المؤيدي وتولي أنابكية العسكر الأمير تمربغا الظاهري [١] الذى قام بخلع السلطان بلباي بعد شهرين وتولي مكانه ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد [٢] لكن ملكه لم يدم بدور أكثر من شهرين إذا لم يستطع إرضاء المماليك الخشقدمية وقائدهم خاير بك الذى قيض عليه ليلاً وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد [٣] لكن الأتابكي قايتباي أسرع إلى القلعة واستطاع السيطرة على الأمور وقبض على خاير بك الذى لم يمكث فى السلطنة سوى ليلة واحدة حتى أطلق العامة عليه "سلطان ليلة "[٤] وفى الصباح بايع الخليفة والقضاة الأربعة قايتباى بالسلطنة وتلقب بالسلطان الملك الأشرف قايتباي [٥].

وقد استطاع قايتباي ان يعيد للدولة هيبتها ومكانتها فى الداخل والخارج وأن يلقن الخارجين عليها دروساً قاسية فقد واجه قايتباي بمجرد جلوسه على عرش مصر فتنة شاه سوار الذى كان يتمتع بتأييد العثمانيين والذى أعلن استقلاله وشرع أن يهاجم أطراف الدولة المملوكية، والحقيقة أن قايتباي رفض ان يهادن هذا الرجل، وبادر بإرسال عدة حملات عسكرية ضده، ونجحت الحملة الأخيرة التى أرسلها قايتباي سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م فى إنزال الهزيمة لشاه سوار والقبض

---

(١) السيوطى- تاريخ الخلفاء- (مطبعة السعادة سنة ١٩٥٢م) ص٤٤١.

(٢)المصدر السابق- نفس الصفحة .

(٣) ابن إياس- بدائع الزهور- ج٢ ص٤٧٤.

(٤) المصدر السابق- ج٣ ص٧.

(٥) مجير الدين الحنبلى- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل- (عمان سنة ١٩٩٩م) ج٢ص٢٨٢.

عليه وإرساله إلى القاهرة حيث شنق على باب زويلة[١]، وبعد مقتل شاه سوار أمر السلطان المملوكي أن يتولى شئون الإمارة أخوه شاه بوداق[٢] الذي وجد منافسة من الأمير علاء الدولة[٣] بن سليمان بن دلغادر، الذى دعمه السلطان العثماني، وسانده كي يحكم الإمارة الدلغادرية، ويبدو أن شاه بوداق أراد التعاون هو الآخر مع العثمانيين، حتى يدعم نفوذه وسلطانه ضد علاء الدولة، الذى تمكن من التغلب عليه، واستولي على الأمور فى داخل الإمارة، لكنه لم يفلح فى ذلك، حيث نجح المماليك فى إلقاء القبض عليه سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، حيث قيد فى الحديد، وأرسل إلى القاهرة، وسجن بالقلعة[٤].

أما علاء الدولة فقد طلب من الأمير أزبك الصغير الخازندار الظاهري الذى فوضت إليه أمور بلاد الشام أن يتوسط بينه وبين السلطان قايتباي للموافقة على طلبه، والاعتراف بإمارته، واستجاب السلطان، وخلع عليه، واعترف به حاكماً على الإمارة[٥].

---

(١) البصروى- تاريخ البصروى- (دار المأمون للتراث سنة ١٤٠٨هـ) ص٥٦.

(٢) ابن شاهين الظاهري- نيل الأمل فى ذيل الدول- ج٧ ص٤٣-٤٤.

(٣) هو الأمير علاء الدولة بن سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر، وكان يلقب فى بعض المصادر تحت مسمي "على دولات". ابن الحمصي- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران (دار النفائس ببيروت سنة ٢٠٠٠م)- ج١ ص٢٩٤، ابن طولون- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان الكتب العلمية سنة ١٩٩٨م)- ج١ ص٧-٣٢.

(٤) ابن طولون- مفاكهة الخلان- ج١ ص٣٠.

(٥) ابن شاهين الظاهري- نيل الأمل فى ذيل الدول- ج٧ ص٢٩٠.

إلا أن علاء الدولة سرعان ما انقلب على المماليك، وعاد إلى التعاون مع العثمانيين، وهاجم ملطية التابعة للدولة المملوكية سنة ٨٨٨هـ /١٤٨٣م[١]، والحقيقة أن هذا العمل الذى قام به علاء الدولة لم يكن بمثابة خروج عن طاعة السلطان المملوكي فحسب، بل كان بمثابة تصدع لأهم الدعائم الدفاعية المملوكية فى جنوب شرق الأناضول، لذلك وحرصاً من قايتباي على عدم تكرار قضية شاه سوار شقيق علاء الدولة أرسل فى المحرم سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م حملة عسكرية لتأديب حاكم دلغادر، كان على رأسها أمير السلاح[٢] تمراز الشمس الأشرفي ابن أخت السلطان قايتباي، وبصحبته أزبك الصغير الخازندار[٣] الظاهري أحد مقدمي الألوف، وعدد من الأمراء، وما يزيد على الألف من مماليك السلطان[٤].

وقد بدأ أول صدام مسلح بين الطرفين واشتد القتال وقتل نائب حلب ونائب صفد وأسر نائب طرابلس، إلا أن تمراز الشمس نجح فى أن ينزل الهزيمة بقوات علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني، وقتل عدداً كبيراً منهم، وأسر عدداً كبيراً آخر[٥]، ومع ذلك فإن سلطنة

---

(١) ابن إياس- بدائع الزهور- ج٢ ص٢٠٢.

(٢) أمير السلاح لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان. القلقشندي- صبح الأعشى- ج٥ ص٤٢٨.

(٣) الخازندار هو الذى يتولى خزانة السلطان من حيث النقد والقماش وغيرها. القلقشندى- صبح الأعشى- ج٤ ص٢١.

(٤) ابن طولون- مفاكهة الخلان- ج١ ص٥٤-٥٥.

(٥) ابن الحمصي- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران (دار النفائس سنة ٢٠٠٠م)- ج١ ص٢٩٤.

المماليك استمرت تعاني الكثير من المتاعب من جانب إمارة دلغادر، لأن علاء الدولة كان واقعاً تحت تأثير العثمانيين وتحريضهم، وإن كان تفوق الجيوش المملوكية على الجيوش العثمانية فى ذلك الدور جعل علاء الدولة يلتزم جانب الحرص فى معاملاته مع دولة المماليك، ويتودد إليها[1] فى الفترة التى حدثت فيها صدامات بينهم وبين العثمانيين (٨٩٠-٨٩٦هـ/١٤٨٥-١٤٩٢م)[2]، فانتهج علاء الدولة سياسة تقوم

---

(١) د/ سعيد عاشور- مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ص٣٨٣.

(٢)عقب انتصار الجيش المملوكي على علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني، اضطر العثمانيون إلى معاودة القتال فى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م مع المماليك، فانتصر الجند المملوكي انتصاراً ساحقاً، وعقب هذه المعركة سعى السلطان قايتباى إلى الصلح مع السلطان العثماني بايزيد، فأرسل له هدية بنحو عشرة آلاف دينار، كما أرسل الخليفة العباسي إليه تقليداً بتوليته كل ما تحت يده من بلاد، ومع التقليد رسالة لإزالة هذه الفتنة وعودة الود والصلح بينه وبين السلطان المملوكي، وفى العام نفسه عاد المبعوث المصري جاني بك حبيب من عند السلطان العثماني، وأخبر المماليك بأن السلطان العثماني يرفض الصلح، ويتوعد الجيش المصري، فشرع المماليك يستعدون لجولة جديدة مع العثمانيين، وفى العام التالي وقع الصدام وهزم المماليك العثمانيين هزيمة كبيرة، وآسر قائد الجيش العثماني أحمد بك هرسك، ولم يكن السلطان العثماني ليقبل بهذه الهزيمة فالتقي جيشه مع الجيش المملوكي سنة ٨٩٣هـ /١٤٨٧م، ودارت الدائرة على الجيش العثماني وغنم المصريون منهم أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك، واستمرت المعارك المتقطعة بين الجانبين حتى استقر الرأي بعد مفاوضات متصلة على عقد الصلح بين السلطان العثماني بايزيد والسلطان المملوكي قايتباي، وتم الصلح وتبادل الجانبان الهدايا والمجاملات الودية. ابن إياس- بدائع الزهور- ج٣ ص٢١٠

على التقرب والتودد بهدف إعادة العلاقات السياسية إلى مجراها الطبيعي، فأقدم على تزويج ابنته من ابن القائد المملوكي المنتصر أزبك الصغير الخازندار الظاهري[1]، ولم يكتف بذلك بل أطلق سراح جماعة من المماليك المأسورين لديه، وفى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م حينما وصل الجيش المملوكي إلى حلب توطأة للهجوم على كيليكيا أرسل علاء الدولة يسأل الصلح مع السلطان المملوكي، وعلى الرغم من أن طلبه رفض إلا أنه أبي الانضمام فى العامين التاليين (٨٩١ – ٨٩٢هـ /١٤٨٦ –١٤٨٧م) إلى الجيش العثماني فى حملته المتوجهة لقتال المماليك، ورفض الدخول فى مواجهة عسكرية مباشرة ضدهم، رغم استمرار تحالفه مع العثمانيين فى الظاهر[2].

ومما لاشك فيه أن مواقف علاء الدولة تجاه دولة المماليك قد أثارت شكوك السلطان العثماني بايزيد الثاني تجاه علاء الدولة، فقرر العمل على عزله عن الإمارة، وتقديم العون لأخيه شاه بوداق المنافس له على الحكم، والذى هرب من بين أيدي المماليك سنة ٨٩٢هـ /١٤٨٧م[3]، وتحرك شاه بوداق إلى الأبلستين سنة ٨٩٦هـ /١٤٩١م ومعه مدد من الجند العثماني، وهاجم أخاه علاء الدولة وقبض على اثنين من أبنائه[4]، وحينما وصل الخبر إلى السلطان المملوكي أمر

– ٢٢١، تاريخ البصروى ص ١٤٧ – ١٤٨، محمد أحمد دهمان– العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك– ص١٦٦.

(١) غيثاء أحمد نافع– العلاقات العثمانية المملوكية– ص١٣٥.

(٢) المرجع السابق– ص١٣٦.

(٣) ابن طولون– مفاكهة الخلان– ج١ ص٦٨.

(٤) ابن إياس– بدائع الزهور– ج٣ ص٢٦٤.

بتجهيز حملة عسكرية لمساندة علاء الدولة، وجعل على رأسها الأمير قانصوه الشامي[١]، ولتوثيق أواصر التعاون مع أمير دلغادر أرسل خلعة إلى عبد الرازق شقيق علاء الدولة، وأمر بتعيينه فى أتابكية حماه عوضاً عن ابن طرغل الذي نقل إلى نيابة طرسوس[٢]، وتمكن بذلك الأمير علاء الدولة من هزيمة شاق بوداق وأعوانه العثمانيين[٣].

ولم يكد علاء الدولة يفرغ من قتال أخيه شاه بوداق حتى تعرض للغزو من الشاه إسماعيل الصفوى، الذى كان يسعى الذي كان يسعى إلي نشر المذهب الشيعي فى الأناضول، وتحرك بقواته فى جمادى الثانية سنة ٩٣١هـ / أكتوبر ١٥٠٧م لمهاجمة الأبلستين ومرعش، واستطاع أن ينزل بعض الهزائم بعلاء الدولة[٤].

وعندما سار السلطان العثمانى سليم الأول على رأس جيوشه سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م لمحاربة الشاه إسماعيل الصفوى، بعث رسولاً من قبله إلى علاء الدولة بن دلغادر، يطلب منه المشاركة فى حرب الصفويين، اعتذر علاء الدولة متعللا بكبر سنه، وأنه لا يستطيع القيام بآي مجهود لكونه تحت حماية المملوكية، ولم يكتف علاء الدولة بذلك، وإنما قام بخطوة عدائية ضد العثمانيين عندما هاجم القوافل العثمانية التى كانت ترسل الإمدادات للجيش العثماني[٥].

---

(١) السخاوي- الضوء اللامع- ج٦ ص١٩٩.

(٢) ابن إياس- بدائع الزهور- ج٣ ص٢٦٤.

(٣) ابن طولون- مفاكهة الخلان- ج١ ص١٠٧.

(٤) د/ أحمد فؤاد متولي- الفتح العثماني للشام ومصر- ص٧٤.

(٥) ابن الحمصى- حوادث الزمان- ج٣ ص٢٧٢.

فلما عاد السلطان سليم من حربه مع شاه إيران إسماعيل الصفوى أمر سنان باشا الصدر الأعظم[1] بمحاربة علاء الدولة والقضاء عليه، فتحرك الصدر الأعظم فى غرة جمادى الأولي ٩٢١هـ / ١٥١٥م على رأس جيش قوامه عشرة آلاف جندي، والتقي مع جيش علاء الدولة فى معركة كبيرة، قتل فيها علاء الدولة وأربعة من أولاده، وثلاثون من أمرائه، وعدد كبير من جنده[2].

ومنح السلطان العثماني حكم إمارة دلغادر لعلي بن شاه سوار، وبعد مقتل علاء الدولة لم يعد للمماليك نفوذ فى الإمارة التى صارت تابعة للعثمانيين، واشترك أمير دلغادر مع العثمانيين فى معاركهم ضد المماليك أثناء فتح الشام فى ٢٥ من رجب سنة ٩٢٢هـ /٢٤ من أغسطس سنة ١٥١٦م حيث هزم المماليك فى موقعة مرج دابق[3].

إلا أن العلاقة ساءت بين السلطان العثمانى سليم الأول وعلى بن شاه سوار، فدبر له السلطان مؤامرة أدت إلى مقتله ومقتل أولاده، وخضوع إمارة بنى دلغادر للحكم العثمانى سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٢م[4].

والله ولى التوفيق

---

(1) الصدر الأعظم يعادل رئيس الوزراء حالياً.

(٢) ابن إياس- بدائع الزهور فى وقائع الدهور- ج٤ ص٤٣٥،٤٥٨.

(٣) المصدر السابق- ج٥ ص٦٠،٦٤،٦٨.

(4) القرمانى- أخبار الدول- ج٣ ص١٠٠.

الخاتمة

كان لإنهيار دولة سلاجقة الروم بمنطقة آسيا الصغرى على يد المغول أثره فى ظهور العديد من زعماء التركمان الذين أرادوا الإستفادة من الأوضاع التى تمر بها المنطقة وذلك بتكويت إمارات خاصة بهم ، ومن بين هؤلاء الزعماء أبناء "بنى دلغادر" الذين تمكنوا ن تكوين إمارة خاصة بهم فى المنطقة لواقعة جنوب شرق آسيا الصغرى ، وذلك بمعونة من سلاطين المماليك بمصر والشام ولقد استمرت هذه الإمارة فى الفترة ما بين (٧٤٠-٩٢٢هـ/١٣٣٩-١٥١٦م) حتى ضمها العثمانيون إلى مملكتهم ولما كانت هذه الإمارة تقع فى منطقة الثغور الإسلامية ونظراً لأهميتها الإستراتيجية على الحدود الشمالية لدولة سلاطين المماليك بمصر والشام لذا فقد أولاهما المماليك عناية خاصة لأنها تمتل أحد خطوط الدفاع على الحدود الشمالية للبلاد.

ولما كانت هذه الإمارة من الوجهة العملية تابعة لسلاطين المماليك وأمراؤها ماهم الانواب عليها يأتمرون بأوامر القاهرة إلا أنهم فى كثير من الأحيان كانوا يخرجون على سلاطين المماليك بالتمرد والعصيان مما أستوجب خروج الحملات العسكرية إليهم لتأديبهم وردهم إلى الطاعة والولاء مما أدى إلى توتر العلاقات بينهما فى كثير من الأحيان كما أدى إلى إرهاق سلاطين المماليك عسكريا وإقتصاديا فما إن تولى زين الدين قراجابن دلغادر – والذى يعد المؤسس الحقيقى لهذه الإمارة فى الفترة من (٧٤٠-٧٥٤هـ) حتى ناصب المماليك العداء معظم فترة ولايته وإن كان السبب فى بعضها يعود إلى السياسة الخاطئة التى كان ينتهجها بعض نواب الشام وحلب إلا أن السلاطين بالقاهرة

كانوا يخفضون ويلطفون من وقع ذلك وينتهجون سياسة الملاينة والملاطفة إلا أن طبيعة التمرد كانت هى الصفة الغالبة على هذا الأمير الذى أراد أن يتحلل من تبعيته نهائياً فاستغل ثورة نائب حلب بيبغاروس ٧٥٣هـ/١٣٥٢م الذى أعلن نفسه سلطانا على البلاد فآزره ودعمه ليس هذا فقط بل لقب نفسه بالملك القاهر متحديا سلطة المماليك وهذا مما لا يمكن التسامح فيه فبعد القضاء على ثورة بيبغاروس إتجهت الجيوش المملوكية للقضاء على زين الدين الذى تمكنت منه فى النهاية وإعدم بالقاهرة ، وإمعانا فى إذلال بنى دلغادر أصدر السلطان بالقاهرة معتذرين فعضا عنهم السلطان وأعادهم إلى ما كانوا عليه فى الإمارة وظلت العلاقة طيبة مدة تزيد على عشرين عاماً ثم عادت إلى سابق عهدها من الثورة والتمرد فلقد غتجه خليل إلى الدخول فى حرب ضد المماليك فقتل مبارك الطازى نائب الأبلستين مما إستوجب معه خروج الحملات الحربية ضده إلا أنها لم تنل منه ما يرضى بل وزاد من خطورته مساعدته الأمراء الخارجين على سلطان المماليك ومعاونتهم مما أدى إلى زيادة بأسه وخطورته إلى أن تمكن السلطان برقوق من قتله غيلة وتولية ابنه "سولى" مكانه إلا أنه لم يكن مخلصا للقاهرة فاتجهت أنظاره معهم مما أغضب سلاطين المماليك فكان جزاؤه الإغتيال أيضا وعلى الرغم من قتله إلا أنه نجح فى أن جعل العلاقة بين العثمانيين والمماليك تصبح سيئة ويتخللها فى كثير من الأحيان الروح العدائية.

فما إن توجه إن سولى إلى الظاهر برقوق حتى يكتسب الصفة الشرعية فى حكم البلاد حتى خرج عليه عمه ناصر الدين محمد بن دلغادر وتولى حكم البلاد بمعونة العثمانيين وناصي المماليك العداء وأخذ

فى تدعيم الثائرين عليهم من الأمراء المارقين وبالأخص الأمير جانبك الصوفى مما أدى بالمماليك إلى تشجيع بنى قرمان ضد العثمانيين ولم تهدأ الأمور بين الدولتين إلا بعد هزيمة ناصر الدين وقتل الأمير المنشق جانيك الصوفى وعود ناصر الدين إلى الطاعة فاتجهوا إلى سلاطين العثمانيين متقربين منهم على حساب المماليك بل وزيادة فى التقارب كانت بين العثمانيين وبين بنى دلغادر مصاهرات مما أغضب سلاطين المماليك وتوترت العلاقة بين الدولتين وأخذت فى ازدياد منذ عصر مراد الثانى (٨٢٤-٨٥٥هـ/١٤٢١-١٤٥٤م)مما أن قتل ملك أرسلان حتى ظهر التنافس بين ابنيه(شاه بوداق،شاه سوار)على حكم البلاد فاتجه شاه بوداق إلى القاهرة واتجه شاه سوار إلى العثمانيين لمناصرته وقامت الحرب بين الطرفين تناصرها القوتان المملوكية والعثمانيين إلا أن كفة شاه سوار كانت راجحة إلى ان تولى "قايتباى" السلطنة فلقنه درساً قاسياً بتتابع الحملات العسكرية إليه حتى هزم وقتل بالقاهرة فى نهاية الأمر.. إلا أن دعم العثمانيين لم ينقطع لخلفه علاء الدين الذى أراد أن تكون له علاقة بالدولتين دون علمهما مما أدى به فى نهاية الأمر إلى أن إجتاح العثمانيين إمارته بعد فقتله وانضمام تلك الأمارة إلى ممتلكات العثمانيين سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وبذلك إنتهى تاريخ تلك الإمارة .

المصادر والمراجع

أولا المصادر ابن إياس

١- بدائع الزهور فى وقائع الدهور (مطبعة الشعب ١٩٦٠م).البصروى

٢- تاريخ البصروى- (دار المأمون للتراث سنة ١٤٠٨هـ).

ابن تغرى بردى بن عبدالله الظاهرى الحنفى (أبو المحاسن).

٣- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (عالم الكتب سنة ١٩٩٠م).

٤- الدليل الشافي على المنهل الصافي القاهرة ١٩٨٣م).

٥- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . تحقيق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عبدالفتاح عاشور . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦- النجوم الزاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومى).

ابن حجر العسقلانى

٧- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٦م)

٨- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (دائرة المعارف العثمانية ١٩٧٢م).

ابن الحمصي

٩- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران (دار النفائس سنة ٢٠٠٠م).

السخاوي

١٠- التبر المسبوك فى ذيل السلوك.

١١- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع (دار مكتبة الحياة ببيروت).

السيوطى

١٢- تاريخ الخلفاء- (مطبعة السعادة سنة ١٩٥٢م).
ابن شاهين الظاهري
١٣- نيل الأمل فى ذيل الدول (المكتبة العصرية ببيروت ٢٠٠٢م).
صفى الدين عبد المؤمن
١٤- مراصد الإطلاع (دار المعرفة ١٩٥٤م).
ابن طولون
١٥- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان الكتب العلمية سنة ١٩٩٨م).
ابن العماد الحنبلي
١٦- شذرات الذهب-(دار ابن كثير بدمشق سنة ١٩٨٦م) .
أبوالفدا الملك المؤيد.
١٧- المختصر فى أخبار البشر (المطبعة الحسنية - الطبعة الأولى).
القرمانى
١٨- أخبار الدول وآثار الأول (عالم الكتب سنة ١٩٩٢م).
القلقشندى .
١٩- صبح الأعشى فى صناعة الانشا (دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٧م).
ابن كثير
٢٠- البداية والنهاية فى التاريخ- دار الفكر العربي (د. ت).
مجير الدين الحنبلى
٢١- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل- (عمان سنة ١٩٩٩م).
المقريزى .
٢٢- السلوك لمعرفة دول الملوك (دار الكتب العلمية بيروت- ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م).

ابن الوردى
٢٣- تاريخ ابن الوردى
ياقوت الحموى
٢٤- معجم البلدان (دار الفكر ببيروت).
ثانيا: المراجع
أحمد فؤاد متولى .
١- الفتح العثمانى للشام ومصر.
خليل أدهم ألدم
٢- تاريخ الدول الإسلامية.
٣- دائرة المعارف الإسلامية (مركز الشارقة للإبداع الفكرى سنة ١٩٩٦م) زامباور
٤- معجم الأنساب (دار الرائد العربى ببيروت سنة ١٩٨٠م).سالم الرشيدى
٥- محمد الفاتح (مكتبة لبنان سنة ١٩٨٩م)ستانلي لين بول
٦- طبقات الإسلام (دار منشورات البصرى ١٩٦٨م).سعيد عاشور
٧- مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك (دار النهضة العربية – بيروت – لبنان).عباس إقبال
٨- تاريخ إيران (دار الثقافة سنة ١٩٨٩م) .غيثاء أحمد نافع
٩- العلاقات العثمانية المملوكية.كي ليسترنج
١٠- بلدان الخلافة الشرقية (مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٥م).
محمد أحمد دهمان
١١- العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك.
محمد أنيس

١٢- الدولة العثمانية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٣م).
محمد سهيل طفوش
١٣- تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام. دار النفائس ط أولى ١٩٧٧م.
محمد فريد وجدى .
١٤- دائرة معارف القرن العشرين (دار المعرفة سنة ١٩٧١م)
محمود شاكر :
١٥- التاريخ الإسلامى (المكتب الإسلامى ٢٠٠٠م).